أشكال وأنواع الموت

الموت واحد وهو خروج الروح من الجسد لأي سبب كان. .سواء أمن وقوف خثرة دموية في بوابة القلب مع سلامة الجسد أم من هرم وعجز أم من حادث أم مرض أم انتحار أم قتل أم شهادة فإذا خرجت الروح من الجسد فقد الإنسان الحياة مهما كان وضعه الجسدي.

. . . ولكن قضت حكمة اللَّه سبحانه أن تختلف الطريقة التي يموت بها الإنسان، وهي طرق لا حصر لها،واختلاف طرق الموت هي في المؤمن كما هي في الكافر، وكما هي في العاصي هي في الطائع. . وإذا تأملت في ذلك تجد أن فيها حكمةً من عليم خبير. . فلو أن اللَّه سبحانه جعل طريقة الموت في المؤمنين واحدة، تشملها جميعاً الرحمة كأن يموتوا وهم نائمون، أو فَجأة وهم جالسون دون إحساس من مرض أو ألم لا يدركون أو يحسون بفظاعة الموت. .وجعل طريقة الموت في الكافرين شنيعة فظيعة كالحرق والفتك والقتل والدهس لكان هذا من إظهار الغيب، وهذه الحال تشبه تحديد (الرزق) بأن يكون مثلاً للمؤمن دون الكافر أو للكافر دون المؤمن فيؤمن الناس أو يكفرون من أجل الرزق،وكذلك فإن الإنسان قد يؤمن فقط من أجل أن يموت مِيتة هينة ولا يموت مِيتةً مشؤومة، لذلك جعل اللَّه سبحانه ظاهراً ميتة السوء في المؤمن كما هي في الكافر وكذلك جعل الميتة

الهينة اللينة في المؤمن كما هي في الكافر . . . وقلت ظاهراً . . . لأن هذا ما يظهر للعيون من واقع قدرتها على الرؤية، لذلك جاءت الآية الكريمة لتوضح أن اللَّه سبحانه هو أقرب للميت من كل أولئك الذين يقفون حوله ليعلمنا اللَّه سبحانه أننا لا نرى إلا ظاهر الأشياء. يقول تعالى:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٨٥]

فربما نرى ظاهر الموت في فلان عذاباً، وحقيقته رحمة وقد يكون ظاهر الموت في فلان رحمة وهو عذاب . . . فقد نرى كافراً أو فاسقاً يموت على سريره كما تنام العروس في خدرها، ولكن عذاب اللَّه سبحانه فيه أخفاه عنَّا لئلا يظهر غيبه على أحد. يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٩٣]

وفي مقابل هذا نجد أن اللَّه سبحانه يخاطب النفس المؤمنة الطاهرة حين موتها بقوله: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾.

[سورة الفجر، الآيتان: ٢٧، ٢٨]

حتى ولو كان ظاهر موت المؤمن عذاباً أو قتلاً أو حرقاً أو غرقاً أو استشهاداً . . . وعلى هذا فالشهيد ميت أمام أعيننا، حي

بِعلم اللَّه تعالى، وهذا هو الفرق بين قدرة الإنسان على الرؤية وقدرة اللَّه في غيبه وعلمه.

... ولكن ما قلته ليس كل شيء..قلنا: إن هناك ظاهراً كشف لنا وباطناً أخفي عنا..فالأحاديث الشريفة تشير إلى أنه إذا شدد على المؤمن في موته فهو كفارة لذنوبه، وأنه إذا قضى اللَّه سبحانه له بالقتل أو الحرق أو الغرق فقد أوجب له الشهادة الصغرى وليست الشهادةَ الكبرى، والتي لا تكون إلا في ساحة القتال وفي سبيل اللَّه تعالى...فإذا مات المؤمن غرقاً فهو شهيد كما دلت عليه الأحاديث الشريفة، ولكنه يغسل ويكفن ويُصلى عليه ولا يكون حياً كالشهيد الذي يقتل في سبيل اللَّه، قال اللَّه سبحانه عن الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦٩]

ولكنه يُعطى أجر الشهيد لما ناله من عذاب في موته، كالذي يموت بداء البطن أو مدافعاً عن ماله وعرضه وشرفه، والأحاديث الشريفة تؤيد هذا الكلام وتتضافر معه.

...ومع هذا فإن رسول اللَّه ﷺ دلنا من خلال الأحاديث الشريفة أن المؤمن من الممكن أن يقي نفسه مِيتة السوء ظاهراً، بأعمال أوصانا بها في الدنيا ومؤداها صنائع المعروف.

... عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات،

وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة » .

[رواه الحاكم في المستدرك]

وفي مقابل هذا فإن صدقة السرِّ يبتغي بها صاحبها وجه اللَّه تعالى فإنها تطفئ غضب اللَّه سبحانه على عبده فتقيه مصارع السوء أيضاً .

. . . عن عبد اللَّه بن جعفر وعن أبي سعيد رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **صدقة السر تطفئ غضب الرب** » .

[رواه الطبراني في المعجم الصغير]

ومن الشهادة (القتل) دفاعاً عن النفس والمال والعِرض والدين والأهل .

عن سعد بن زيد رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد** » .

[رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه]

. . . وليس الشهيد في الإسلام من قتل دون دمه وماله وأهله فحسب بل أوجب رسول اللَّه ﷺ الشهادة للمؤمن في حالات أخرى نستبينها في الحديث الشريف .

عن جابر بن عتيك أن رسول اللَّه ﷺ قال :

« **الشهادة سبع سوى القتل في سبيل اللَّه : المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمْع شهيد** » .

[أخرجه ابن حبان في صحيحه]

. . .وهكذا فإننا نجد أن الموت ليس له قاعدة لا في العمر ولا في النوع ولا في المؤمن ولا في الكافر ولا في عاصٍ، سنة اللَّه في هذا الكون وهذا الخلق ولن تجد لسنة اللَّه تبديلاً إلى أن يرث اللَّه سبحانه الأرض ومن عليها، وليست هذه السنة الإلٰهية بالعشوائية، إنما من علم اللَّه المطلق في كامل خلقه، وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا أمره وإرادته في خلقه في كثير من الآيات الكريمة في كتابه الكريم.